

من دار التوحيد.. إلى دار الخلود د. يوسف حسن العارف



(* في رثاء زميلنا الأستاذ الدكتور عبدالله سراج منسي أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة (يرحمه الله).

(1) فاتحة:

عزاءً في الكريم ابن الكريم
تلظى فهو في غم وخيم
سوى بالشعر وألهم العظيم
رفيع القدر ذا نبل حكيم

ل (عبدالله) ترتجل القوافي
هو الرجل الحبيب علي فؤاد
فوأسفى يموت ولا أواسي
أ(عبدالله) كنت أبا وفاء

* * *

(2) وكانت دار التوحيد بالطائف أول التعارف والتلاقي.. زمالة دراسة، ورفقة درب، وإن كان (عن بعد) فهو في فصل دراسي، وأنا في آخر، كان زميل مرحلة.. ولم يكن زميل صف.. كان النشاط الرياضي والثقافي يجمعنا.. أنا في إذاعة المدرسة والجماعة الأدبية، وهو في النادي الرياضي.. كان شغلة نشاط، وتوقد رياضة، كانت البطولات التنافسية في لعبة السلة، وألعاب القوى فيمثل الدار خير تمثيل ويقود النجاحات والكؤوس والبطولات لرشاقة في جسمه، وابتسامة صادقة على محياه، وحيوية في معنوياته، وسماحة في خلقه.

وكان للنشاط الكشفي أثر بارز في شخصيته الاجتماعية وعطاءاته التطوعية، وقياداته الشبابية، إذ تطورت معه إلى الجامعة التي جمعنا سويًا في كلية الشريعة بمكة المكرمة وقسم التاريخ فيها، وكانت حينذاك فرع لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

أربع سنوات جامعية وكان التاريخ يجمعنا في مناشطه العلمية، والرحلاتية، والبحثية، والمعرفية، حتى تخرجنا بشهادة البكالوريوس في العام 1397/1397هـ، لتتفرق بنا السبل الوظيفية فأنا أدخل سلك التعليم في جدة وهو معيد في قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

وتعود بنا الحياة لتجتمع في المسار الأكاديمي والدراسات العليا لمرحلة الماجستير، وتنتلمذ سويًا تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد حسن صالح منسي (يرحمه الله) فأنال درجة الماجستير عام 1405هـ في رسالة علمية بعنوان: العثمانيون وحكومة الأدراسة في عسير، وينال هو شهادة الماجستير في نفس العام في رسالته العلمية بعنوان: سياسة الدولة العثمانية في الخليج العربي.

ثم نفترق في شهادة الدكتوراه فيكم لها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وينالها عام 1411هـ، وأنا أكملها في جامعة عين شمس بالقاهرة عام 1412هـ، لنعود ونجتمع مرة أخرى في رحاب عروس البحر الأحمر/ جدة هو أستاذ جامعي في قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وأنا باحث مستقل في الدراسات التاريخية ومتعاون مع كلية المعلمين التابعة لوزارة المعارف آنذاك لارتباطي الوظيفي بشعبة الإدارة المدرسية بتعليم جدة!!

ومع هذه المسافة المكانية والعملية في جدة كان حقل التاريخ والأمسيات والأصبوحات التاريخية تجمعنا وتؤلف بيننا، وتمنع من البعد قريباً، والتفرق تجمعاً، والشتات التأملاً.

* * *

(3) والدكتور (عبدالله سراج منسي)، باحث في التاريخ متميز، انتمى لحقل الدرس الوثائقي منذ الماجستير وتتللمذ على الأستاذ الدكتور محمود حسن صالح منسي، الأستاذ في جامعة الأزهر، والزائر لقسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز (يرحمه الله) الذي دلنا على البحث الوثائقي، وشجعنا على ارتياده وسلوك شعابه وآفاقه حتى أصبح هدفنا ومتبعنا في كثير من دراساتنا وبحثنا (المابعدية) - فهاهو الزميل الدكتور (عبدالله منسي) ومنجزاته البحثية المعتمدة على النصوص الوثائقية مما يدل على ضلوعه في هذا المسلك البحثي المتميز ومنها ما يلي:

- نبط الخليج العربي بين جامعة الدول العربية والأطماع الاستعمارية/ دراسة وثائقية، 2007م.

- محمد كامل القصاب وعلاقته بالمملكة العربية السعودية/ دراسة وثائقية، 2001م.

- الكويت وجامعة الدول العربية من مساعي الانضمام حتى الأزمة الكويتية العراقية 1961م، دراسة وثائقية، 2006م.

وغيرها من الدراسات والبحوث الوثائقية التي أهلتها لنيل التكريمات والترقيات العلمية الأكاديمية حتى وصل درجة الأستاذية متوجاً حياته التعليمية والمهنية بهذه الدرجة الأكاديمية.

وعبر هذه المسيرة البحثية والمعرفية والعلمية، تكلفت جهوده بالكثير من الجوائز والاستحقاقات وأهمها: جائزة الملك عبدالعزيز للكتاب التي تشرف عليها دار الملك عبدالعزيز، وقد نالها عن كتابه: جدة في التاريخ الحديث عام 1428هـ/2017م.

* * *

(4) وحبیبنا الأستاذ الدكتور عبداللہ منسی (یرحمہ اللہ)، الذي ننعیہ الیوم ونرثیہ، كان ملء السمع والبصر أستاذاً في الجامعة ومشرفاً على الرسائل العلمية والبحوث الأكاديمية، ومشارك في اللجان التنظيمية، رأس قسم التاريخ، وقاد فريق العمل، بكل إخلاص ومسؤولية وقدره على العطاء، وتفاني في حب العمل وإيثاره على الراحة والدعة والاستكانة، في مواطنة صادقة، وانتماء للوطن والقيادة الرشيدة، حتى ألقى عصا الترحال الوظيفي، فتقاعد عن العمل الأكاديمي، ولم يتقاعد عن العطاء الفكري والتاريخي وإن كان أقعده المرض حيناً من الدهر في أخريات أيامه.

لقد تنادينا - نحن خريجو قسم التاريخ - بعد خمسين عاماً من تخرجنا للتجمع واستعادة الذكريات بقيادة زميلينا الدكتور محمد عبداللہ العيسى والدكتور علي بردي الزهراني، واجتمعنا أكثر من ثلاثين خريجاً مساءً يوم الجمعة 12/4/1445 هـ، وافتقدنا زميلنا الدكتور عبداللہ منسي وتساءلنا عن سبب غيابه فقيل إنه اعتذر لظروفه الصحية وكان الأمل أن نزوره ونعوده في مرضه للاطمئنان ولكن القدر سبقنا إليه والحمد لله. فقد جاءني خبر الوفاة وأنا في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح يوم الخميس 25/9/1445 هـ حينما أرسل لي أخي الدكتور عبدالرحمن العارف صورة لتغريدة الدكتور نوح الشهري - أحد منسوبي جامعة الملك عبدالعزيز بجدة - والتي يقول فيها: "رحم الله الوجه البشوش والطيب الأخلاق حبيبنا أ.د. عبداللہ سراج منسي أستاذ التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة - والتي يقول فيها: "رحم الله الفردوس الأعلى وأحسن عزاء أهله ومحبيه وطلابه، له ذكرى طيبة في نفوس كل من عرفه وهكذا الذكر عمر ثانٍ، اللهم أحسن لنا ولكم الذكر والخاتمة".

* * *

لم أصدق الخبر في البداية - ورحت أتأكد من العم Google فلم أجد أي إشارة، واتصلت على بعض الزملاء ولم يكن لديهم العلم الأكيد، حتى بدأت المعلومات تتواصل والخبر يصبح مؤكداً. فأرسلت للزملاء بذلك إعلماً وترحموا وعزاءً، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح الجنان.

* * *

ختام:

الموت حق علينا قد عرفناه

في كل حين يناديننا فلنلقاه

يختار منا خيار الناس منزلة

وما جزعنا لأن الراحم الله

اللهم ارحم فقيدنا (عبداللہ منسي) وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة وأحسن العزاء لأهله وأبنائه ومحبيه.

والحمد لله رب العالمين.

د. يوسف حسن العارف

المدينة 26/9/1445 هـ

جدة 30/9/1445 هـ